4

افتتاحية العدد

سيميائيات توترية

بقلم: جاك فونتانيي

لاتعد إشكالية التوترية (أو وجهة النظر التوترية) بالمعنى الدقيق، «سيميائيات جديدة» أو «نظرية الجديدة» للدلالة. كونها قد ظهرت في رحاب التفكير حول المعنى، غير أنها اهتمت بتعميق الأسس الظاهراتية في السيميائيات الغريماسية.

ولأن البنوية انتهت مع سنوات الثمنينات، وقد ورثت تصورا جامدا ومضعفا للبنية، بوصفها "ككيان مستقل من التعالقات الداخلية"، ومن ثم فقد تم تشييؤ البنية واختزالها في تلك التقابلات الثنائية، وإعادة استظهارها داخل المربع السيميائي ضمن لعبة من العلاقات المغلقة التي لا أفق لها. لقد فتح التحليل التوتري في واقع الأمر، "العلبة السوداء" لتلك التقابلات الثنائية، وأعاد مساءلة الخاصية السكونية للاختلاف، بالبحث عن "التعالقات الداخلية" المضمرة، منسجما بذلك مع التعريف الأصلي للبنية.

يتوجب على التحليل التوتري، لاستكشاف تلك "التعالقات الداخلية"، أن يعمل على تحليل تقابلات البنية البسيطة بوصفها تمظهرا للعلاقات المحايثة. فإذا ماقابلنا مثلا،الحالتين المتباينين لوضع الضوء : "الاشتعال" والإضاءة"، فإن التحليل التوتري، سيعمل على مساءلة الطريقة التي تتمظهر بها تغايرات الشدة والمدى في الحالتين، وسيكشف لنا كيف أنهما تقومان على التدرج، وليس على وضعيات ثابتة؛ كما سيظهر هذا التحليل بأنهما يتوافقان مع سيرورتين متعاكستين: سيرورة التمركز (تدني المدى وارتفاع الشدة)، وسيرورة الانتشار (ارتفاع

المدى وانخفاض الشدة). باختصار، فإن التحليل التوتري سيخلص إلى أنه يمكن لمقولة التقابل الثنائي هذه، أن تخضع بدورها للتحليل انطلاقا من نفس النسق من التغايرات المتواصلة التي تغدو مرتبطة بتوترات متعاضدة.

تتبنى السيميائيات التوترية لتحقيق ذلك مبدأ الوساطة الإدراكية النسقية: عبر تعليم مقولة أو عدة مقولات تتمظهر عبر تقابلات نظامية، ثم تبحث عن تلك الأبعاد الحسية المضمرة التي «تفسر» بشكل ما تشكيل تلك التقابلات، غير أن هذا «التفسير»، يحيلنا دوما إلى وجود طرف ملاحظ، وهو ذات الطرف الذي يعمل على تعليم تلك التقابلات، ومن ثم التقاطها بوصفها نتاجا للتوترات المحسوسة والمتعاضدة. تعمق سيميائيات التوتر بشكل ما الاختلاف في مد التوترات الإدراكية، متقاطعة بهذه الطريقة مع التصور الدينامي للاختلاف عند دولوز.

وتلكم هي الخصائص الأساسية للسيميائيات التوترية: أولا وجود طرف ملاحظ للاختلاف وعدد من المقولات، ثم تحقيق وساطة إدراكية وحسية، وتخريج التوترات المتعاضدة.

لقد تطورت سيميائيات التوتر فيما بعد في شكل منهج، وذلك مع ظهور خطاطة التحليل المعمم(البنية التوترية مع بعديها المعياريين للشدة والمدى)، ثم مع تحديد مختلف أنواع التوترات، وتحديد صنافة لمختلف سيرورات التطور التوتري. بيد أن هذه الإضافات ينبغي أن لا تنسينا المبدأ الأساس لسيميائيات التوتر، المتمثل في أنه على التقابلات البنوية أن تستظهر في شكل محايثة محسوسة تخترقها علاقات حسية متشابكة، لتلك «التعالقات الداخلية» بين التوترات المتعاضدة.

ترجمة

عبد القادر فهيم شيباني